الفصل الأول

- كيف أنشأت الصهيونية العالمية فى مصر شبكة تغطى أنحاء العالم، ويعمل فيها ٣٥ ألف شخص؟
- حين قال الملك فاروق: إن اليهود جزء من النسيج الاجتماعى المصرى.

obeikan.com

obeikan.com

المسلمون.. النصارى.. اليهود

لا أعتقد أنه يوجد فى مصر إنسان واحد يكره اليهود. إنما مشاعر العداء التى قطعت أواصر الدم المشترك كان سببها تلك المبادئ الصهيونية. حيث تمكنت من قلب اليهود، وحولتهم إلى عنصريين.

يرى مفكرو الصهيونية أن اليهود أفضل الأمم (لأن الله هو الذى أسسها بنفسه)، ومن يطالع وقائع الحياة المصرية، سيرى بعينيه، أنه لم يحصد أى شعب من المكاسب الاجتماعية مثلما اغتنت حياة اليهود المصريين بالرفعةو الثراء، سواء منها ما كان فى أجهزة الدولة، أو فى الحياة الحزبية والنيابية.

ظهر العديد منهم كأعضاء بارزين فى «حزب الوفد»، وخرج منهم ثواب عن الشعب المصرى، إلى جانب زملائهم من النصارى الذين انضموا كأعضاء فى حزب 'لوفد على أساس اتحاد عنصرى الأمة (مسلمون ونصارى)، فكان شعار الوفد (الهلال محتضناً الصليب)، تعبيراً عن الوحدة الوطنية والمصير المشترك.

سنعود لاحقاً للحديث عن المصير المشترك، وما يجمع بين المسلمين والنصارى من وشائج لا يستطيع الزمن أن يفصم عراها، لنقول: ليس معنى ذلك أن حياتهم كانت سمناً خالصاً أو عسلاً خالصاً، فهناك من الشوائب التى دفعتهما إلى مناخ من الكدر، منها: ما هو اجتماعى.. اقتصادى.. وظائفى.. سياسى.. فكرى، هذه الأمور مجتمعة، خلقت حالة من القلق، ومناخاً قابلاً للانفجار، وجراحاً لم تندمل فى جسد الأمة، ولكن احتمال التئامها ليس من رابع المستحيلات، إذا ما خلصت النية لإزاحة هذا الالتباس الذى نجمت عنه أوضاع لا تصيب فرداً بعينه، لكنها تلحق الأضرار بالأمة المصرية، ولربما كانت هناك أوضاعاً معينة أفضت إلى التمييز بين بعض الطوائف:

« ولكن جزءاً من الالتباس القائم حول هذه الأوضاع أننا لم نفرق بين أمور ينبغى التفرقة بينها، من ذلك مثلاً أننا لا نفرق بما فيه الكفاية بين إذا ما كان التمييز قانونياً ومنهجياً وهو أمر مستبعد فى الحالة المصرية، وما إذا كان التمييز فعلياً بحكم ممارسات إدارية غير ناضجة ولا متحضرة مالم يترسخ لديها بعدُ ثقافة المساواة وتكافؤ الفرص، وهو واقع يمكن القول بوجوده على نحو ما، لكننا نتجاهل أن هذا التمييز الواقعى الذى يعانى منه المصريون، مسلمين ومسيحيين معاً، وهذا لا يعنى قبول مثل هذا النوع من التمييز الواقعى وله تبريره، وإنما يعنى فقط تشخيص وضع قائم مؤداه أن دولة المواطنة التى ننشدها يفصلنا عنها واقع ثقافى واجتماعى بقدر ما هو سياسى، وأخطر ما فى هذا الواقع هو المكون الثقافى حيث ما زالت لاعتبارات الوساطة والعائلة والمحسوبية والمحاباة، وكل فنون غواية الجهاز الإدارى دور مهم فى الحصول على الحقوق والمناصب بأكثر مما لقواعد الجدارة ومعايير الاستحقاق، وهنا يتساوى « بحكم الأمر الواقع المسلمون والمسيحيون معاً ».(١)

لكننى أعتقد أن هذا التمييز وما يمكن أن يطلق عليه بالواقعى واللاواقعى والمكون الثقافى أو ما إلى ذلك لم تر مفرداته فى أدبيات التراث الإسلامى المسيحى إبان ثورة ١٩١٩. حيث كان « الدين لله والوطن للجميع ». إذ لم يلاحظ أحد من المؤرخين أى تمييز طائفى أو عشائرى، وإن كان البعض يرى بعد عدة عقود من قيام ثورة ١٩١٩ ضد الاستعمار البريطانى، أن شعار حزب الوفد (الهلال – الصليب)، كان لا يبتعد كثيراً عن مضمون شعار الإخوان المسلمين: « الإسلام هو الحل »، لدرجة أن بعض الساسة يذهبون إلى أن ذلك لم يبدد مشاعر الطائفية لدى كافة الأطراف:

---

(١) د. سليمان عبد المنعم «عن سؤال التمييز فى تقرير الحريات الدينية» مقال جريدة الأهرام- الإثنين ٢٢ نوفمبر ٢٠١٠.

« والمشكلة أن الجماعة الوطنية أى الجماعة السياسية مؤسسة هنا على أرض طائفية، أى على أرض هشة، فهى اتحاد طوائف، والطوائف لا تقيم إلا سياسات عقيمة، أو مدمرة، والطوائف التى تتعانق اليوم تتصارع غداً، والدليل الأبلغ على ذلك هو لبنان والعراق والسودان ».(٢)

وبعيداً عن الشعار الدينى / السياسى الذى لا يزال يرفعه حزب الوفد، هناك ما يستدعى التأمل للقضاء على المشاكل الطائفية بما قد يجسده الحل فى شعار: الدين لله والوطن للجميع:

« وهو شعار علمانى بقدر ما يمنح الوطن للجميع ولا يوزعه على عنصرى الأمة، كل حسب نسبته من السكان، وهذا هو الحل الذى دافع عنه محمود باشا عزمى وتوفيق باشا دوس فى أثناء صياغة دستور ١٩٢٣ حين رفضوا النص على ديانة رسمية للدولة، وحين حذر عزمى من الثمن الذى ستدفعه فى المستقبل جراء ذلك النص ». (٣)

ولكن من قلب نصوص دستور ١٩٢٣ نستبين تلك المواد المضيئة، إذ نص صراحة على مبدأ المساواة فى الحقوق المدنية والسياسية دون تمييز بسبب الدين، أو اللون، أو اللغة، وشدد الدستور على حرية العقيدة والرأى، والتعليم لأبناء الوطن الواحد.. مسلمون.. نصارى.. يهود، وفى الحياة العملية، عرف اليهود كيف يستفيدون من مواد الدستور، وكأنه، فى جملته كان موضوعاً ليخدم حياتهم الخاصة ويرعى مصالحهم!

لكأنما كتب على مصر أن تكون بعض القطاعات الاجتماعية والاقتصادية

---

(٢) سامر سليمان (من المسئول فعلا عن قيام نظام الملة المسيحى؟) مقال. جريدة الشروق -الخميس ٤ نوفمبر ٢٠١٠ ص ١٣.

(٣) طارق البشرى: (المسلمون والأقباط فى إطار الجماعة الوطنية) ص٢١٥.

والسياسية بيد اليهود. لكن تلك الحساسية لم تكن موجودة، ولم يعان أحد بسببها، لأن من طبيعة الشعب المصرى السماحة، حينما كان الجميع أبناء وطن واحد، فى زمن كان غالبية المسلمين والنصارى تحوطهم الفاقة والفقر المدقع، فأدوات الإنتاج، والقوة الاقتصادية ليس فى أيديهم شيئاً منها، وقد يمكن الزعم بأنه فى ظل عبودية رأس المال، كانت لديهم أفكار، ولكن يشوب معظمها التشوش.. بعضها مبهم، والبعض الآخر ملتبس، إذ كان الجانب الكبير منها مثقلاً بمطالب الحياة وضرورات العيش، فالجميع وما يصنعون تحت ضربات مطارق الشقاء، تحدوهم الآمال المبرقشة بشتى الأمنيات، غير أنها فى الغالب الأعم كانت تعيش فى داخل قوقعة الأتوبيا المسيحانية بالنسبة للمسيحيين، والتواكل على الله بالنسبة لعامة المسلمين.

على العكس من هؤلاء تماماً. كان اليهود المصريين يديرون عجلة المكاسب اليومية لمصلحتهم، ومن المكاسب التى حصلوا عليها قبل صدور دستور ١٩٢٣ ما خطط له إلبرت موصيرى عام ١٩١٩ بعد صدور وعد بلفور ١٩١٧ من أجل إصدار مجلة «إسرائيل» فى القاهرة، وبالفعل صدرت المجلة وانتشرت بثلاث لغات: الفرنسية.. والعبرية.. والعربية، وظلت «إسرائيل» تصدر فى لغتها الثلاثة، حتى توقفت النسخة العبرية عن الصدور عام ١٩٣٤.

ومن الأمور التى تثير الانتباه أنه فى عام ١٩١٧ أى فى تلك الأيام القريبة من صدور وعد بلفور المشئوم. كانت الطائفة اليهودية فى مصر تقوم بطباعة ونشر عدد من الجرائد التى تتناول المشاريع الاستيطانية على أرض فلسطين العربية، وليس لدى أى واحد من هؤلاء رادع أو وازع من ضمير حيث لا يجدون ما يحول دون تفكيرهم عن المواجهة العسكرية مستقبلاً بين الجيش المصرى والجيش الإسرائيلى، وفى ذلك يقول الكاتب الصهيونى «إسرائيل الداد»:

جيش إسرائيل يواجه جيش مصر مرة أخرى فى الموضع نفسه الذى جرى فيه

خروج الشعب اليهودى بقيادة موسى. نحن نعيش أيام يوسف وموسى ويسوع وداود كلها فى وقت واحد.

لذلك أعرب أعضاء الحركة الصهيونية فى مصر عن عميق ابتهاجهم لوعد بلفور الذى شحذ همتهم لخوض المعارك المقبلة،ومعظمهم من الإشكيناز القادمين من روسيا وشرق أوروبا، وشاهدتهم القاهرة وهم يخرجون – ابتهاجاً بهذه المناسبة – فى مسيرة مكونة من ثلاثة آلاف يهودى غصت بهم شوارع المدينة.

وتجاوباً مع هذه المسيرة نظم اليهود المقيمين فى مدينة الإسكندرية مسيرة كبيرة مكونة من ٨ آلاف شخص، وبنفس هذا الزخم وهذا الحماس انطلقت مسيرة أخرى فى شوارع الإسكندرية عندما قام « حاييم وايزمان » رئيس الوفد الصهيونى بزيارتها جاءت زيارة « حاييم وايزمان » لمصر عقب نجاح الهجرة اليهودية الثالثة إلى فلسطين: ١٩١٩ –١٩٢٣، والتى ضمت حوالى ٣٥ ألف مهاجر قد قدموا من بلدان أوروبا الشرقية، وعقب هذه الموجة صدر صك الانتداب البريطانى الذى فتح الأبواب على مصراعيها لتدفق الهجرة اليهودية من شتى أنحاء العالم فى عام ١٩٢٠.

ومما يندى له جبين الشرفاء. أن « حاييم وايزمان » اصطحب معه فى رحلة العودة إلى فلسطين أحمد لطفى السيد الذى صار يعرف فيما بعد بـ « أستاذ الجيل » لأجل المشاركة فى افتتاح الجامعة العبرية، ولا ندرى هل هى المصادفة التى جمعتهما ببلفور الذى كان يمر بمصر فى طريقه للقدس ليشارك هو الآخر فى هذه الاحتفالية؟!

قيل فى هذ الصدد كلام كثير، فيه من التخفيف، والتدوير، والتعمية ما يجعل رأينا فيه أنه كان يزدرى عقول المصريين ويستخف بهم.. من ذلك أن نزعة الصهيونية لم تكن تجسدت فى شكل إرهابى. فى وقت كان الجميع يتعاطفون

مع اليهود بعد ما حاق بهم من ويلات ونكبات على أيدى النازية، وكان الإصلاحيون من رجال الدين والفكر يأملون من وراء كتاباتهم وأقوالهم أن تُصحح نقائص الحياة لعل العالم يتخلى عن الأعمال الشريرة، وأن ترتدى البشرية حلل الخير، والعدل، والرحمة.

عاد «حاييم وايزمان» إلى مصر فى العشرينات قبيل ثورة ١٩١٩ ليمشى على بُساط نُسج بخيوط من الود والحفاوة، واجتمع بأعضاء بارزين فى الحكومة، وللآن بعد مرور حوالىٌ تسعين عاماً لم تفتح ملفات هذه الاجتماعات، كل ما عرفناه أن وايزمان بعد لقائه بفضيلة شيخ الجامع الأزهر أنه تبرع لصندوق الوكالة اليهودية بمائة جنيه، وتبرع يهود مصر بمبالغ كبيرة لإقامة أول مستعمرة لليهود الألمان على أرض فلسطين.

استخدم اليهود كل ما فى حوزتهم من وسائل لنسج خيوط المؤامرة العالمية الكبرى.. شخصيات عامة.. إغراءات جنسية.. رؤساء دول وزعماء أحزاب.. أموال. كما استفادوا تحت مظلة الزعم الخاطئ بأن مشكلة العداء للسامية لن تجد حلاً لها إلا بخروج اليهود من أوروبا، والادعاء بأن فلسطين تستطيع إيواء جميع اليهود المضطهدين.

استثمرت الصهيونية ما جرى على أيدى النازية.. ادعت أن مئات الآلاف من اليهود لم يعد فى مقدورهم تحمل العيش فى أوروبا، والحقيقة الغائبة أن النازية لم تكن السبب وراء هجرة اليهود إلى فلسطين لأنهم كانوا – قبل عشرينات القرن الماضى – قد تأثروا بمبدأ القوميات الذى اجتاح أوروبا فى ذلك الوقت فعملوا على صنع قومية يهودية لتخلع على «الأمة اليهودية» الحقوق الطبيعية (ومنها الحق فى كيان منفصل).

إن ما حصل على أرض الواقع العربى أعد لمولده واستقباله منذ ما يقرب من

القرنين. حيث انطوى على تحليله وتفسيره حاخامات وعلماء نفس ومحللون سياسيون على دراية واسعة بالشؤون العربية حتى توصلوا فى بحوثهم إلى مرحلة الرفض العربى لحملات الدول الصليبية، وبقصد الاستفادة من نتائجها مع تكرارها على أيدى غلاة الفكر الصهيونى.

اهتموا بدراسة عداء البشرية لليهود، واهتموا بدراسة سيكلوچية المجتمعات العربية حتى يجتازوا كل ما من شأنه تثبيط وإعاقة تقدم الحركة الصهيونية إلى أن أتيح لهم أن يكونوا مزودين بطاقة هائلة من التفسيرات الفاسدة، والادعاءات المزورة التى عندما يطلقونها على صفحات الكتب الأدبية، والفلسفية، والعلمية والسياسية – حسب ما تقتضيه كل مرحلة زمنية – توحى بأنهم أصحاب الحق فى فلسطين، وبلاد ما بين النهرين وأجزاء من لبنان ومصر، والمدينة المنورة، ومكة المكرمة.

درس اليهود حركة الحملات الصليبية، ولتجنب الوقوع فى فشل تلك الحملات، رأوا:

أولاً : دراسة عوامل الرفض العربى.

ثانياً: مقابلة الرفض العربى بالردع العسكرى.

ثالثاً: التوسع الاستراتيجى.

رابعاً: منع تحقيق الوحدة العربية.

خامساً: الحرب النفسية الموجهة.

سادساً: اختراق سياج العداء المحيط بها.

سابعاً: تأمين انتظام الدعم المالى.

ثامناً: تأمين استمرار الهجرة.

تاسعاً: الحصول على القبول والشرعية السياسية.

عاشراً: تصفية الوجود الفلسطينى.

حادى عشر: تشجيع القوى الجاذبة الخارجية،

ثانى عشر : تزيين فوائد السلام.

ثالث عشر : الحفاظ على التفوق الإسرائيلى.

كان وراء هذه المشاريع بالدعم المادى «المصرف اليهودى للمستعمرات» منذ عام ١٨٩٨م.

أين كان العرب وقتذاك؟

وما هو موقف اليهود المصريين من هذه المشاريع؟

فى أجواء من التعمية والإلباس والتشوش بدأ اليهود السفارديم كمواطنين مصريين حتى عام ١٩٤٨، ولم يهاجر أحد منهم إلى فلسطين، ولكن اليهود الإشكيناز ظلوا يضغطون عليهم من أجل التخلى عن مصريتهم والنزوح إلى فلسطين.

ومع اشتداد سواعد الصهيونية لم تتورع عن ارتكاب أبشع الجرائم فى سبيل تنفيذ مخططاتها ولكى يصاب الجميع بالروع ويتخلوا عن مصريتهم قامت الصهيونية بإشعال الحرائق فى الممتلكات اليهودية فتحولت إلى رماد محلات شيكوريل وعدس والصالون الأبيض وغيرها فى قلب العاصمة المصرية، وألقيت القنابل على حارة اليهود ودوت الانفجارات التى راح ضحيتها عشرين قتيلاً.

لم يكن هناك سوى سؤال واحد: هل يظل اليهود السفارديم على طريق المواطنة المصرية والانضمام إلى تيارها الوطنى الذى كان ناشطاً ضد الاستعمار البريطانى أم يرضخون لمشيئة الإشكيناز دعاة الصهيونية والنزوح من مصر إلى فلسطين؟

على طريقة إعادة السكينة إلى النفوس أذاع الملك فاروق خطاباً أعلن فيه أن اليهود جزء من النسيج الاجتماعى المصرى، وكانت استجابة بعضهم طيبة فأرسل رينيه وأصلان يوسف قطاوى خطاباً إلى جريدة الأهرام يؤكدان فيه أنهما يهوديان ومصريان الجنسية.

ثم أصدر اليهود المقيمون فى بورسعيد بياناً نددوا فيه بإسرائيل، ولكن سرعان ما تكدرت الأجواء بنسف وكالة الأنباء اليهودية، وعقب ذلك الحادث انفجرت قنبلة فى حارة اليهود، وجميعها أعمال تخريبية، إرهابية متقنة الصنع والتنفيذ على أيدى الإشكيناز.

من كان لديهم المال ويملكون السندات والعقارات عجلوا بتصفية أعمالهم وممتلكاتهم إيذاناً بالرحيل ومغادرة البلاد المصرية، حينذاك لم تعترض الحكومة المصرية، بل ووافقت على فتح مكاتب «الموساد» فى القاهرة لتنسيق عمليات تهجيرهم.

على هذا النسق أحرزت أدوات الاستعمار المنظم النجاح فى خطواتها، ومن ورائها كان يقف «المصرف اليهودى للمستعمرات» منذ عام ١٨٩٨، «ولجنة الاستعمار» ١٨٩٨م، و«الصندوق القومى اليهودى» ١٩٠١م، و«مكتب فلسطين» ١٩٠٨، إلى جانب رغبة أوروبا للتخلص من شرورهم، وقد وضعتهم على خارطتها كحليف استراتيجى يمكن من خلاله أن تنفذ إلى قلب مستعمراتها فى آسيا وأفريقيا.

وبالتنسيق مع هذه الجهود عبرت اليهودية الإصلاحية فى المؤتمر المركزى للأحبار الأمريكان بمناسبة الذكرى المئوية للكونجرس الصهيونى العالمى مسئوليتها الكاملة عن اليهود داخل إسرائيل وخارجها، كما يتعهد الإصلاحيون بالالتزام باستمرار الدعم المادى والمعنوى لأمن دولة إسرائيل وضمان رفاهية مواطنيها.

كانت عمليات اقتحام الأراضى الفلسطينية تأخذ الطابع الإرهابى لعمليات السيطرة ولم تتم عن طريق الشراء بل عن طريق خداع أصحابها حتى نجحت فى السيطرة على٧٦٪ من مجموع مساحة الأراضى الفلسطينية فى أقل من عام واحد من صدور قرار التقسيم فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧.

لقد أثمرت أساليب الفكر الصهيونى بشكل يقطع بأنها كانت أقدم بمراحل من أيديولوجية النازية العنصرية، وكان «ليون بنسكر» الطبيب الروسى الصهيونى واحدا من الذين طالبوا اليهود بالتخلى عن العملية الاندماجية فى روسيا، وفى غيرها، واتجه على اعتباره «رئيس جمعية نشر الثقافة الروسية بين يهود روسيا» إلى وضع كتاب «التحرير الذاتى» عام ١٨٨٢، يدعو فيه إلى وضع برنامج عملى لحل المسألة اليهودية، وتبنت أفكاره الجماعات الصهيونية ومنها جمعية «أحباء صهيون» فى روسيا، وفى هذا الكتاب يستنكر وجود اليهود فى حياة الشتات:

إن وطننا بلد أجنبى لا عيش لنا فيه، ووحدتنا تشريد. وتضامننا مع سائر الشعوب عداء سافر لكل يهودى.

ونحن حين نطالع اليوم فى بداية الألفية الثالثة هذه البرامج الصهيونية التى نشرت كتابتها على العالم منذ القرن الثامن عشر والتاسع عشر والعشرين يقرحنا السؤال وتغص حلوقنا بالألم حين نقول: أين كان الأقدمون من الولاة والرؤساء والحكام العرب؟

من كان يصدق أن ترتكب هذه الجرائم فى حق شعوبنا ولدى المصريين تاريخ حافل بالنضال فى العصر الحديث ضد الاستعمار منذ ثورة عرابى (١٨٨١م)؟

ليس الماضى فحسب المدان. بل كل حاضر وقائم وقاعد تواطأ بالصمت ولم يتصد لموجات الحملات الصهيونية بعد فشل الحملات الصليبية على بلادنا.

ثم.. هل كانت ثورة ١٩١٩ التى يعدها المؤرخون نقطة تحول كبرى فى تاريخ النضال المصرى، والتى اشتركت فيها الأمة بأسرها.. جنود.. عمال.. أعيان.. فلاحون.. مسلمون.. نصارى.. هل كانت هذه الثورة فى حاجة إلى

مستشار صهيونى قريب جداً من « حاييم وايزمان »؟

من يصدق أن « ليون كاسترو » نائب رئيس الاتحاد الصهيونى وساعد وايزمان فى الحركة كان واحداً من نشطاء ثورة ١٩١٩ ضد الإنجليز الذين منحوا اليهود « وعد بلفور »؟!

للتعمية. أو ربما لأننا فى بعض الأحوال نكون مصابين بعشاء بصرى فلم نر الوجه الحقيقى لليهود من وراء أقنعة الوفاق التام مع الأوضاع الداخلية، والزعم بأنهم يدخلون فى لحمة النسيج المتناغم داخل المنظومة الاجتماعية، بينما كان الواقع يؤكد أنهم يدعمون الصندوق القومى اليهودى باعتباره أبرز الهيئات التى عملت على تحويل الشعار التوراتى: « استعادة الأرض » من مجرد شعار إلى حقيقة واقعة.

لكن ثمة حقائق أخرى فى حياتنا لا يجب غض النظر عنها.. هناك اليهود اليمنيين الذين لا يزال معظمهم يعيشون على أرض اليمن ويفضلون الحياة فى البلاد التى أنجبت جدودهم وولدوا هم عليها، وهناك اليهود المغاربة الذين يشكلون جالية كبرى على أرض المغرب.

أما التمثيل الحزبى والنيابى فلم يمارسوه فى مصر وحسب، وإنما اضطلعوا به فى دول عربيةوإسلامية أخرى، إذ كانت لهم أحجام كبيرة ومؤثرة فى الحياة البرلمانية، والحزبية والاقتصادية فى المملكة المغربية وإيران.

وحول حضورهم الملموس فى الجمهورية الإيرانية الإسلامية، فقد أوضح ذلك بجلاء الكاتب الأمريكى « ترينا باريسى » أستاذ العلاقات الدولية فى جامعة « جون هوبكينز » فى كتابه: (التحالف الغادر).. قائلاً:

« إن إيران هى الدولة الثانية فى الشرق الأوسط بعد إسرائيل التى تضم عدداً كبيراً من اليهود والمزارات اليهودية، كما يضم البرلمان الإيرانى نواباً من اليهود ».

وليس لديهم أى مشكلة بنيوية تجاه إيران، ولم يترددوا فى التواصل مع المؤسسات الإيرانية المختلفة، ولعلنا فى بسط تلك اللوحات المختلفة نكون قد توصلنا إلى استخلاص نتيجة محورية تؤكد الإطار النفعى الذى أحاط بمنطلقات العلاقة بين الدول العربية والإسلامية ومواطنيها من اليهود لتحقيق المصالح المرجوة لدى كافة الأطراف.

لكن معيار المصلحة العامة قد اختلت موازينها منذ أن أُنشئت شبكة الموساد فى مصر وأصبحت تغطى أنحاء العالم، ويعمل فيها ٣٥ ألف شخص، يتوزعون على عدة شُعَب، ومنها شعبة أبحاث مهمتها دراسة ما يجرى على ساحة الوطن المصرى.

قبيل قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ وقعت جريمة اغتيال العالم المصرى د. مصطفى مشرفة.. كان يعتبر واحداً من العلماء القلائل الذين اكتشفوا سر القنبلة الذرية، ومن المعروف أن دكتور مشرفة عمل مع العالم الإسرائيلى أينشتاين وكان يعتبر واحدا من بين سبعة علماء، توصلوا إلى سر القنبلة الذرية.

جاء ذلك تنفيذاً لنصوص بروتوكولات حكماء صهيون التى تقضى صراحة بحرمان العرب والمسلمين من تقنيات العلوم الحديثة، حتى يظلوا أسرى الجهل والتخلف، فلا يصعد أحد منهم ليقلب ميزان التفوق العلمى الصهيونى.

ومن بين العلماء المصريين الذين أُغتيلوا على يد «الموساد» سعيد بدير ابن المخرج المصرى وكاتب السيناريو سيد بدير.

وكان «الموساد» قد قام بتنفيذ خطة اغتيال يحيى المشد عالم الذرة المصرى، وقد نشر خبر اغتياله على صدر صفحات جريدة «يديعوت أحرونوت».

وعلق «موردخاى فانون» – الذى عاقبته إسرائيل بالسجن ١٨ عاماً لإفشائه أسرارا نووية: «إن موت المشد سيؤخر البرناج النووى العراقى».

ولن ننسى العالمة المصرية « سميرة موسى » التى ماتت على أيدى الممثلة اليهودية المصرية راقية إبراهيم عام ١٩٥١ فى كاليفورنيا، وقد جاء ذلك بعد صدورقرار التقسيم الذى قوبل بالرفض التام من قبل الدول العربية، وكان رفض القرار مبنياً على مبررين:

« الأول أن الناظر إلى خريطة التقسيم يجدها عجيبة الشأن، فقد خصصت للدولة اليهودية المنطقة الساحلية من فلسطين فيما عدا يافا، إذ كان أغلب أهلها من العرب، ثم أضافت للدولة جزءاً من شمال فلسطين لا يتصل بساحل البحر إلا عبر ممر ضيق، ثم جعلت لهم أخيراً صحراء النقب المتاخمة لمصر لتمنع أى صلة بين بلاد العرب، أما بالنسبة لمنطقة العرب ترك لهم جزء من الساحل هو قطاع غزة وجزء ضيق من الأرض بين المخصص لليهود وصحراء النقب. وبهذا فإن المنطقة العربية أصبحت غير متصلة جغرافياً ما يصعب معه استقلالها الاقتصادى أو حماية أمنها ».(٤)

إذا تأملنا مبرر الرفض الثانى لعدم قبول قرار التقسيم نجده سديداً لأنه يقوم على عدم الاعتراف بإقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين على أساس دينى. سواء كان هذا الوطن يدين بالموسوية أو الصليبية، الأمر الذى سيرجح نظرتنا عندما يعلن الصهيونيون عام ٢٠١٠ عن قيام « الدولة اليهودية »:

« ومن الدراسين اليهود المعاصرين الذين اهتموا بدراسة عوامل الرفض العربى للسابقة الصليبية « شلوحو غاتاين » أستاذ الدراسات الإسلامية فى الجامعة العبرية وكذلك « إلياهو أشتور » و « شتراوس » الخبير بتاريخ اليهود فى العالم الإسلامى وأسبانيا الإسلامية، ومن الدراسات التى نشرت فى هذا المجال دراسة بعنوان: « الإسلام والصليبيين » قام بها الباحث « عمانؤيل سيفان » وقد ركز فى هذه

(٤) د. محمد حسنين هيكل (مذكرات فى السياسة المصرية) ج ٣- دار المعارف ١٩٩٠.
(٥) أنطوان بطرس (مشكلة إسرائيل بين أمثولة التاريخ وبرامج البقاء) شؤون فلسطينية- عدد يونيو ٧٣ ص ٢٤.

الدراسة على فكرة الجهاد عند المسلمين، كما دونها أبو طاهر السلمى فى كتاب «الجهاد» الذى كتب بعد ثلاث سنوات فقط من الغزو الصليبى، ودخول الصليبيين إلى المنطقة العربية، وبالتالى فهو يعتبر أول كتاب يتناول موقف العرب من الدولة الدخيلة».(٥)

قوبل قرار تقسيم فلسطين بالرفض القاطع من جانب الدول العربية وشعوبها، وما لا يجب إخفاؤه أو السكوت عنه أن خيانة وقعت أثناء احتدام المعارك بين الجيوش العربية وبين العصابات الصهيونية. انتهت بتسليم «اللد» و «الرملة» لليهود مقابل حفنة من الدولارات....!!

وبموجب قرار التقسيم لم يساهم أحد من العرب فى وضع خريطته، بل تم بالتواطؤ مع المملكة المتحدة صاحبة قرار «الوعد»، تمكن اليهود من الإعلان عن قيام دولتهم.

قبيل هذا الإعلان كان فاروق الأول ملك مصر والسودان أذاع خطاباً على الأمة بمناسبة حلول شهر رمضان، وهو يعبر عن وجهة نظر البلهاء الذين لا يزالون يحسنون الظن حتى الآن بتلك الدول (التى كان من بينها من اتخذ سبيل الحق).. قائلاً:

شعبى العزيز:

يستقبل المسلمون اليوم فى جميع أقطار الأرض شهر رمضان المبارك، فيستقبلون به دستوراً إنسانياً، تتمثل فيه تعاليم الإسلام السمحة، التى تدفع المسلمين إلى التعاطف والتراحم، فتسمو نفوسهم، وتزكو قلوبهم، وتجتمع كلمتهم.

فإلى جنودنا البواسل فى الميدان، وإلى المجاهدين رفقائهم فى السلاح، وإلى أمتى المحبوبة والأمة الإسلامية، والشعوب العربية جميعاً، أتوجه بصادق التهنئة

(٥) أنطوان بطرس: (مشكلة إسرائيل بين أمثولة التاريخ وبرامج البقاء) شؤون فلسطينية - عدد يونو ٧٣ ص ٢٤.

والدعاء، راجياً من العلى القدير أن يسعد حالهم، ويرفعهم إلى مكانة العزة التى أعدها الله لعباده المخلصين.

شعبى العزيز:

فى هذه الفترة الحاسمة فى تاريخ العروبة تتجه أفكارنا إلى إخواننا فى فلسطين الذين غصب حقهم، وأخرجوا ظلماً من ديارهم، فكانت محنتهم أشد محنة عرضة للحق.

صبرنا وصابرنا حتى اتهمنا بالضعف، ولكننا رابطنا، ولما تمادى المعتدون فى عدوانهم لم يكن بد من أن تدخلها الجيوش العربية لنشر السلام فى ربوعها، ولتعيد الأمن إلى أهلها، وتظل فلسطين عربية خالصة لسكانها.

وقد استبسل الجندى العربى فى الميدان، وثبت للعدو، يحارب من قرى محصنة أو من وراء جدر. ولكن الله تعالى صدق وعده، ونصر جنده. إن ينصركم الله فلا غالب لكم.

وقد استشهد من أراد الله لهم أن يسبقونا إلى جواره الكريم أولئك حسبهم أنهم أحياء عند ربهم يرزقون، وحسبنا عزاء فيهم أن لهم من الله أجر المستشهدين ومن وطنهم ذكر الخالدين.

شعبى العزيز:

إذا كان شهر رمضان الذى تدخلون فى أيامه يبدأ اليوم، فغداً تنتهى الهدنة والأمور فيها موكولة إلى يد أمينة، أعدت لكل احتمال عدته.

لقد كانت محنة فلسطين من الحوادث التاريخية البارزة فى حياة الأمم العربية فى هذا العصر الحديث، فعلينا أن نتعظ بدروسها وأن نستوحى أهداف سياستنا فى ظل تعاوننا واتحادنا الوثيق، وأن نذكر على الدوام مواقف الدول الكبرى منا، وإن يكن موقف كثير منها لا يسعف الحق فقد كان من بينها من اتخذ سبيل

الحكمة وقارب نهج الإنصاف والعرب قوم يذكرون الجميل، ولا ينسون لصاحبه.

أسأل الله أن يكشف عن فلسطين الضر، ويكتب للجيوش العربية الموحدة فى أهدافها التوفيق والنصر. والسلام عليكم ورحمة الله». (٦)

غير أن وقائع الأيام أثبتت عكس ما كان يؤمل فيه جلالة فاروق المعظم ملك مصر والسودان، ومن تولوا سدة الحكم بعده خلال الأنظمة الجمهورية المتعاقبة، إذ لم يصب أحد منهم التوفيق فى تفاؤله بموقف الدول الكبرى، ومن كانوا يلصقون بها عبارة: «راعية للسلام»، وعهدنا بهم أنهم ظلوا يغررون بشعوب الأمة العربية والإسلامية خدمة لإسرائيل وأهدافها الصهيونية، ومن بينهم من أوهمنا أنه (اتخذ سبيل الحكمة وقارب نهج الإنصاف).

ولئن كان ما يجرى فى واقعنا المعاش من استعباد.. استنزاف.. وأرزاء لم تُبتل بها أُمة سوانا فلا جديد فى حياتنا حينما نرى الصليبيين القدامى لم تكبح فيهم رغائب النفس وشهوة الاستعمار، ما يصنعونه فى هذه الآونة أنهم استبدلوا وسائل الحملات الصليبية القديمة- بالاتفاق مع الصهاينة - لتحل نجمة داود على راية الجنود مكان الصليب.

غدا «يهوه» رب الجنود هو من يشق غبار المعارك ضد العرب والمسلمين فى فلسطين، وأينما وجدوا فى أى منطقة من بقاع العالم، وبعد أن رسّخ الصهيونيون أركان الاستيطان فى فلسطين، وبعد أن غادر ٧٣٪ من الفلسطينيين قراهم خلال عام ١٩٤٧ - ١٩٤٩ تحت الضغط المباشر والمذابح التى قامت بها «الهاجاناه» و«عصابة شتيرن» ومنهم صاروا أعضاء فى الوزارات الإسرائيلية، وأن ٢٢٪ من الفلسطينيين رحلوا بسبب الخوف من وحشية الإرهاب الصهيونى، وأن ٥٪ فقط رحلوا (تحت تأثير الوهم الذى خلقته الدعاية العربية بأنهم سيعودون

(٦) مجلة منبر الإسلام. رمضان ١٣٦٧هـ يوليه ١٩٤٨، المجلد الخامس، ص ١ و ٢.

مع الجيوش العربية المنتصرة).

فما الذى سيجرى على شعوبنا بعد تحديث الحركة الصهيونية، ومع الطرح الجديد : إسرائيل ما بعد الصهيونية؟

إلى الآن لا يوجد فى إسرائيل دستور. هناك قوانين تُصَرَّف بها أعمال أجهزتها وشؤون مواطنيها، وليس لها حدود قاطعة مع جيرانها، لأنها تريد لأحلامها أن تمتد وتسترسل، ولكيانها أن يبتلع دول الجوار.

وإذا ما أعدنا النظر فيما يقول نتانياهو اليوم فى شأن الدولة اليهودية سنجده قولاً مكرراً وليس بالجديد، فقد جرى على ألسنة « رواد الصهيونية » فى نهاية القرن الثامن عشر، وأكد عليه بنسكر مرات عديدة فى كتابه « التحرر الذاتى »، قائلاً :

« إن العالم يحتقر اليهود لأنهم ليسوا بأمة حية، ولأنهم أجانب فى كل بلد يعيشون فيه، لذا فإن تحريرهم مدنياً وسياسياً لا يبرر رفع شأنهم بين سائر الشعوب، والعلاج الناجح لهذا الداء المستعصى هو إيجاد جنسية يهودية لشعب يعيش فى أرض الوطن ».(٧)

وحدد جغرافية هذا الوطن – مؤقتاً – حسب الخطة التى وضعها هيرتزل :

« فهو المساحة من نهر مصر إلى الفرات، ولا بد فى البداية من تثبيت فترة انتقالية لتثبيت مؤسساتنا يكون فيها الحاكم يهودياً، وما أن تصل نسبة اليهود إلى الثلثين حتى تفصل الإدارة اليهودية نفسها سياسياً ».(٨)

إنهم أناس لديهم الإرادة والتصميم على تنفيذ خططهم، والدليل أن كل أرض فى فلسطين وضعوا أياديهم عليها صارت حقاً لهم بالتقادم، أو على اعتبار أنها جزء من « الحق التاريخى »، وذلك الحق تبلوره سياسة تقوم على جناحى

(٧) هذه هى الصهيونية – القاهرة – دار المعارف – سلسلة اخترنا لك، رقم ١ دون تاريخ ص ٣٣ و٣٤.
(٨) عبد الوهاب كيالى (المطامع الصهيونية التوسعية) بيروت – مركز الأبحاث. ص٦١.

الاستراتيجية والتكتيك، فالاستراتيجية قوامها الفكر الصهيونى والموروث الأسطورى الذى أصبح له من الثبات ما لا يُسمح لأحد أن يعدل في شيء من أركانه، أما التكتيك فمسموح له بأن يصول ويجول وقد يصل إلى إطار جديد لتحديث فكرة الصهيونية. كأن تتم بلورة فكرة التصالح بين العرب وإسرائيل عقب الانتهاء من بناء المستوطنات وتحويل ديموغرافية القدس، وكأن تلجأ غالبية اليهود الشرقيين (السفارديم) إلى خلق فرص حقيقية للسلام!!

وتظل أوراق الصهيونية، ما قبل الحداثة، وما بعد الحداثة أسلوباً يغرى من فى عقولهم أفن وبلاهة، وهم فى ذلك كمن يتوخوا فى الشيطان أن يكون ملاكاً.

من ملامح « ما بعد الصهيونية »، ما أسفر عنه اجتماعات الكنيست خلال شهر أكتوبر ٢٠١٠ فقد انتهى من مناقشة صبغة الدولة ب « اليهودية » وقام الأعضاء بتغيير البند (ج) من المادة (٥ من قانون الجنسية الإسرائيلى) من: « أصرح بأننى سأكون أميناً لدولة إسرائيل » إلى الولاء لإسرائيل باعتبارها « دولة يهودية »:

« ينكر التعديل الهوية الوطنية والحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى داخل إسرائيل ويتناقض مع قواعد القانون الدولى التى حددت هذه الحقوق. فليس من حق إسرائيل جنسية إسرائيلية لا تتفق مع هوية ورغبة العرب، لأن القانون الدولى يرتب للفلسطينيين الحق فى الجنسية الفلسطينية، والوثائق التى رتبت للإسرائيليين شرعية وجودهم واكتسابهم الجنسية الإسرائيلية، هى ذاتها التى ترتب للفلسطينيين حقهم المماثل فصك الانتداب على فلسطين عام (١٩٢٢) أقر لليهود المهاجرين فى فلسطين حقهم فى الحصول على الجنسية الفلسطينية وتكرر ذات النص فى اتفاقية لوزان (١٩٢٤)، وفى توصية الجمعية العامة للأمم المتحدة بتقسيم فلسطين (١٩٤٧) تأكيد على أن المواطنين الفلسطينيين (العرب واليهود) سيصبحون مواطنى الدولة التى يقيمونها وفى هذا تفسيرواضح

أن عبارة دولة يهودية لا تعنى أبداً أنها لليهود فقط».(٩)

إننا لن نكون أقوياءوجادين إلا إذا حذقنا ممارسة لعبة العلاقات الدولية المبنية على أسس المنافع المتبادلة.. هذا النهج الدولى فى المعاملات. قدتدخل فيها المنافع الشخصية.. تلك المنافع التبادلية. أصبح حكراً على من يمكنهم الاستمتاع بالحصول «الشخصى» على المكاسب أو لا بما لا يجعل للحقوق «الشرعية» أية قيمة. طالما اكتفى أصحابها بالرضوخ للغة «الحقوق» التى تدار بآليات «عدالة» الجمعية العامة للأمم المتحدة.

فى هذا المناخ الدولى يغادر كل شىء مكانه، وفيه تباع الأوطان بسعر الجملة؛ وبعضها الآخر يباع بسعر التجزئة، وهناك مرشدون. قوادون.. ساسة.. سماسرة.. رجال فكر.. إعلاميون، وجميعهم أعضاء ناشطين فى منظومة إبرام الصفقات المشبوهة لصالح من لا يستحق، لكنه يدفع بسخاء.

الفارق بيننا وبينه أنه مسيطر على كافة الأمور. من مجلس الأمن إلى الهيئة العامة للأمم المتحدة، حتى لو أقر أعضاؤها الحقوق المشروعة للعرب، فذلك – وحده – ليس بكاف، لأن الولايات المتحدة الأمريكية، تستطيع – خدمة لأهداف الصهيونية العالمية – أن توقف مفعول ٥٠ قرار صدرت كلها لصالح العرب، ولصالح القضية الفلسطينية على مدار نحو ٥٠ عاماً.. خمسون ڤيتو استعملتها أمريكاضد حقوق وأمانى الشعوب العربية.

إن حلول مشاكلنا الخارجية مع الصهيونية ودعاة تحويل بلادنا إلى أسواق مفتوحة للعولمة لن تحل إلا بقيام ثورة إدارية فى الداخل.. ثورة توقف المد

(٩) عبد الفتاح ماضى (قسم الولاء فى إسرائيل.. مزيد من العنصرية والعزلة) مقال، جريدة الشروق، السبت ١٦ أكتوبر، ص ١٣.

السرطانى الذى يسميه البعض تجاوزاً: «الإكرامية».. ثورة تقضى على: «الدرج المفتوح» وما يطلقون عليه تخفيفاً أو تجميلاً: «الحلاوة».

من يصدق أن سياسة الدرج المفتوح، والإكرامية، والحلاوة، وغيرها رفعت مصر إلى مكانة عالية على قمة الفساد الدولى؟.. هناك سبعون ألف قضية فساد تقع فى مصر سنوياً:

(من بينها ٥ آلاف قضية إهدار للمال العام)؛ إلى جانب ثلاثين مليوناً من الشباب فيهم عمال وعاطلون وطلبة جامعيون يدمنون تعاطى المخدرات، وفى ظلال الأنشطة المدمرة على أيدى من يتمتعون بالسطوة والحظوة من بائعى أراضى الدولة، وجميعهم يؤكدون على أن هياكل الدولة قد فشلت فى الأخذ بيد الكفاءة وانتصرت لمبدأ المكافأة!!

فهل من الأجدى الحديث عن: إسرائيل.. ما بعد الصهيونية؟ وداخلياً يخرب البيت المرشدون.. القوادون.. المفكرون بلا انتماء.. وساسة بلا ضمير..؟

●●●●●